أحـــلام الـــكـــاتـــب

تبدأ أحلام الكاتب عندما تنطلق مسيرته الأدبية، ولعل أبرز ما يحلم به، هو تغيير العالم، أي أن يقدم فعالية ثقافية فوق الطاقة التي قد يحتملها البشر العاديون.. الكاتب يريد أن يتميز عن الآخرين بتسديد ضربات موجعة لخصومه السياسيين والطبقيين، وكذلك أصحاب نزعة الدفاع عن الذوق العام، انه قد يأخذ كارل ماركس أطروحته الفريدة، الداعية الى تغيير العالم لا تفسيره.

ميلان كونديرا

مارسيل بروست

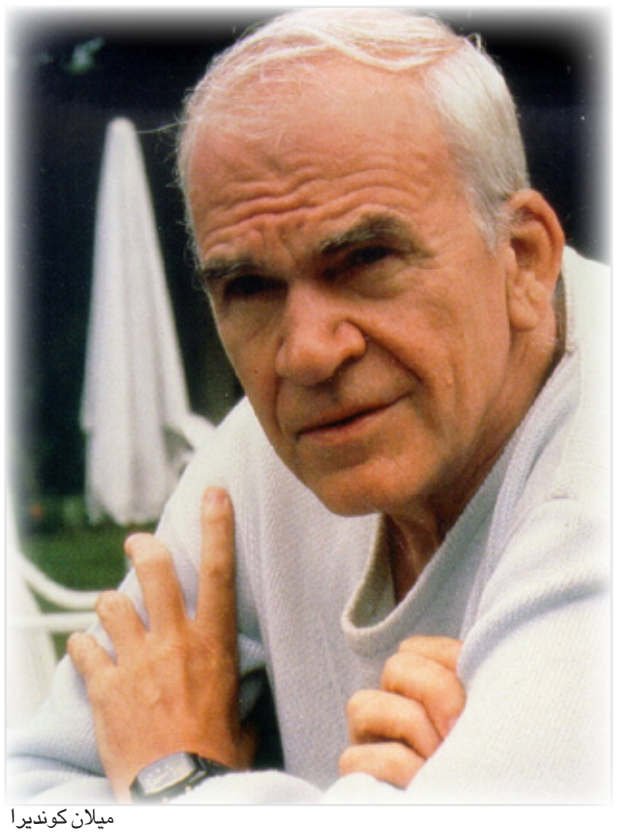

أحمد خلف

ما الذي يغير العالم القوة أم المعرفة؟
تبدأ أحلام الكاتب بالنمو عضوياً وتتطور بصورة حثيثة يحدث ذلك، في أول الأمر، لكنها ما تلبث أن تتعقلن أمام اندفاع التجارب الحياتية، كان الجميع يفعل هذا في العقد الستيني من القرن العشرين، هنا في بغداد أو في بيروت وحتى القاهرة أو في أنحاء أخرى من العالم، لا بد من التغيير والتخلص من هيمنة الأفكار البرجوازية التي تضرب أطنابها الأخلاقية والسياسية في كل أنحاء حياتنا، في ذلك الوقت لعبت الفلسفة الماركسية وكلك الوجودية دوراً حاسماً في صراع الأفكار التي تدعو إلى التغيير وكانت الدعوة صريحة وواضحة في مرماها البعيد، فقد كانت الأفكار التحررية تتجسد في الفعل الإبداعي تحديداً، وكان ذلك يجد صداه بفعل الاتجاه السريالي الذي راح يخترق الحجب والحدود في النصف الثاني من ستينيات القرن العشرين، إذ كانت السريالية تطمح هي الأخرى في أن توصل باعتبارها فلسفة مغايرة وتدعو إلى التخلص من هيمنة العقلانية الجامدة، تلك الأيام أصبح الجميع سرياليين ووجوديين يؤمنون بالحرية الفردية إلى أقصى مدياتها وبتغيير الجماعة وتهديم أركان الدولة الفاسدة، وتجسدت الدعوة بضخ الحياة عبر دماء جديدة في جسد الثقافة السائدة آنذاك التي تعاني الإهمال والنسيان المقصود كما هي اليوم وفي هذا العهد والعهود الأخرى، حيث الثقافة في نظر الدولة العراقية (على مر العصور والعهود تقريباً) مجرد لهو لا وجود لمعنى يخصه قط، في حين يرى المثقفون في معظم أنحاء المعمورة، أن ما ينجزونه من أفكار وإبداع وآراء وفنون هي لتطوير الإنسان وتغيير دواخل النفس البشرية، أي أن تجعله الثقافة وكذلك المعرفة أكثر مقدرة على فهم الحياة الحضارية واستيعابها، بل والمساهمة بهما بحيث يكون دورا فاعلاً في سير الحياة اليومية المتطورة، لذا، لا ينقطع حلم الكاتب بالتغيير، لأنه يرى الواقع وكم يبدو مزرياً ومؤلماً (ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوع) وفي هذا التناظر، بين الخير والشر وبين السكون والثبات وبين التغيير والتطوير، يرى بعض المفكرين تقدمي النزعة، أن على المبدعين التوجه إلى المعضلات الاجتماعية لانتقادها والتصدي إلى الجوانب السلبية فيها والتي تعيق حركة المجتمع، وينبع هذا المعتقد أو الرأي من إحساس المفكرين بأهمية الثقافة والإبداع الأدبي سواء في الرواية والقصة القصيرة أم المسرحية والمقال الأدبي الذي ينبغي أن تمتزج فيه رائحة الأرض بطيف الأحلام الكبيرة للمبدعين الجادين التي ترمي إلى التغيير دائماً.

وينشغل معظم المفكرين المعاصرين والقدامى في تطوير سياقات المجتمع الذي قد يعاني الفوضى الاجتماعية واستفحال الفئات الطفيلية عديمة النفع، لذا، نرى المطابع تضخ لنا عشرات بل مئات المؤلفات التي تتصدى للظواهر التي تشير إلى الجوانب المعتمة في حياة الإنسان الحديث، وعمل من هذا النوع يتطلب صبراً ودأباً طويلين، حتى تستقيم الفكرة وتأخذ مجراها المقدس، ولكن وحين تستفحل الفوضى أو تستمر دوافع الخراب الاجتماعي والاقتصادي لفترات طويلة من الزمن يرتد البعض من المفكرين أو يتقاعس عن أداء دوره المفترض به، وذلك لإحساسهم بعدم وصول أفكارهم أو عدم تغلغلها في عقول الناس و حياتهم، ونعتقد أن في ذلك التراجع أو الشعور بالخيبة، ما يرجع إلى أن تكون هناك ثمة قطيعة بين الأديب وواقعه وبين المؤلف والسلطة، ويعتبر معظم الأدباء والمفكرين الأحرار أن السياسي أو رجل الدولة (صاحب الايديولوجيا المنغلقة على نفسها) يقف عائقاً في أفكاره تلك للعملية الثقافية، لأن الأخير لا يرى في الثقافة إلا لغواً أو هي حكر على نفر من المتبطرين، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ فاضل ثامر في كتابه: (إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي، ص٧٠): ((وإذا كان بعض السياسيين يشعر بفوبيا حقيقية إزاء الثقافة، فهناك سياسيون آخرون يخشون فتح صناديق باندورا أخرى مثل صناديق الديمقراطية أو حقوق الإنسان أو حقوق المرأة وغيرها لأنها بالنسبة لهم، ملفات مخيفة يفضل أن تبقى والى الأبد مغلقة ومختومة بالشمع الأحمر)).

وبالقدر الذي تثير فيه بعض الكتب المعرفية، الكثير من السجال الثقافي حيث تتصدى هذه الكتب إلى الراهن اليومي، مثلما تتناول المعضلات والإشكالات الروحية والأخلاقية للناس، فان عدداً محدوداً من الروايات الحديثة تتعرض في سردياتها إلى أخطر ظواهر المجتمع، ولقد وجدت بعض الروايات، في موضوعة المخفي والمستور والمحجوب عن العين، موضوعات مناسبة للارتقاء بالفن الروائي إلى مصاف المواجهة والتحدي، وعملت بعض السرديات على فضح العديد من المحرمات أو ما يسمى بالتابوات الاجتماعية الثابتة، وحلم كاتب هذه الروايات هو الوقوف على جوهر الحقيقة أو إماطة اللثام عن جملة من الحقائق التي يعاني منها المجتمع برمته كالفساد المالي والإداري او ظاهرة المحسوبية وروح التحزب غير الموضوعي وغير الإنساني للدين والمذهب أو الكتلة أو الكيان.. ومن الظواهر التي تصدت لها الرواية الحديثة، مسألة الهجرة والمنافي التي يلجأ إليها الأدباء والفنانون، وذلك لغياب الحرية الشخصية أو حرية التعبير في ذلك البلد، حتى لو ادعى الديمقراطية والحرية والسير في الاقتصاد على أسس علمية في معالجة قضايا المجتمع ولعل من أهم أحلام الكاتب ليس تغيير العالم فقط، بل أن يكسب المزيد من القراء ويحقق من خلالهم مصداقية القول والفوز بشهادة المتلقي الذي ينبغي أن يثق بما يقرأ من كتب ودراسات وروايات لها ميزة المنفعة الضرورية التي يعلق عليها المتلقي الكثير من الاعتبار، ويحلم الكاتب ايضاً في سيادة شهرته وانتشارها ومعرفة الناس لأفكاره ولطقوس الكتابة لديه، لان انتشار الكاتب هو سيادة لأفكاره وآرائه بين الناس، وذلك لتحقيق هويته من خلال إنتاجه للعبارة الأرقى والأجمل: ((لا شك أن الإنسان يملك بواسطة الخيال والذاكرة، أن يبحث عن هويته الضائعة عن زمانه الضائع بل عن مكانه الضائع على حد تعبير بروست)) (علي حرب/ التأويل والحقيقة/ ص٥٤/ بيروت- دار التنوير).

ولعل الحلم الذي أشار إليه ميلان كونديرا في رواية – الخلود- هو ما يجعل للكاتب الحق في أن يحلم بالطريقة التي يراها مناسبة، حتى ولو جاءت مترعة بالخيال أو التجريد واعتماد المجاز الأدبي كوسيلة تعبير ملائمة لترسيخ أحلام الكاتب والكشف عن جوهرها وما تريد الوصول إليه من مغزى ودلالات في نهاية المطاف.

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

تنوّع العراق الثقافيّ بداهة تستحق انتباهاً حاذقاً

موضوعياً، يؤدي إغلاق الفضاءات الترفيهية، للمسيحيين والمسلمين على حد سواء، إلى تقليص التنوّع الثقافيّ واختصار حيوية الاختلاف التي تميّز البلد. بلدٌ ظلت القاعدة فيه، في أشدّ الأوقات إظلاما، تقوم على أساس دينيّ وسوسيولوجيّ وشعبيّ ثابت: "لكم دينكم ولي ديني" حتى بالنسبة لأبناء المذهب الواحد نفسه.

بلغ التنوع الثقافيّ في العراق حدّ التعايش النادر والتسامح بل اندغام عناصر بعض المعتقدات لدى الطوائف كلها. فإن مدينة مثل البصرة ظلت، طيلة قرون، فضاءً لتعايش المسلمين والصابئة والمسيحيين والأرمن والهنود والعجم، وكل من وقع على أرضها عبر البحر أو التجارة. اليوم يتعرّف بعضنا على حقيقة وجود كنيستين في قلب مدينة العمارة الراسخة في المخيال المدينيّ العراقيّ دليلاً على الصورة السلبية للريف الزراعيّ العصيّ على التنوّع والاختلاف. الأولى كنيسة أم الأحزان الكلدانية التي يرجع تاريخ بنائها إلى عام ١٨٨٠، والثانية كنيسة مار يوسف البتول للسريان الكاثوليك التي يعود تاريخ بنائها إلى عام ١٩٤٠. وهذان تاريخان يحملان دلالة: إنهما أقيمتا في وقت متأخر لم تكن المدينة فيه في أحسن حالاتها، لكنها قبلتْ رغم ذلك واحترمت المُختلف. في البصرة والعمارة والناصرية والفرات الأوسط (ولا نتحدث عن كركوك شمالا) كانت شعائر الصابئيّ والمسيحيّ واليهوديّ، مقبولة إلى حد كبير في الضمير الشعبيّ، ولم تكن تتعرّض للقمع، بما في ذلك مأكولاته، ولم يقع الاعتراض، إلا من بعيد، على مشروباته الروحية. لأن هذه الأخيرة هي علامة من علامات التنوّع التاريخيّ للبلد شئنا أم أبينا، وتمتدّ إلى العصور البابلية التي اكتشفت أكثر من ١١ نوعاً من الجعة، مرورا بإباحة النبيذ الأحمر من قبل قاضي القضاة أبي يوسف في العصر العباسيّ، الإسلاميّ. يومها انتشرت الحانات على نطاق واسع، ووقعت مسامحتها عُرْفاً من طرف الطوائف والمذاهب كلها، بناءً على القاعدة الخلاقة المذكورة أعلاه. ولولا إننا سنُحاجَج على أساس أننا ندافع عن الخمرة ونروّج "للحرام"، وهي ليست نيتنا ولا شأننا هنا، لقدّمنا مَسْرَداً لتاريخها في أدب العراق، لدى شعراء العراق عامة، ثم خاصة لدى شعراء الشيعة الكبار: الحبوبيّ (أيها الساقي) والجواهريّ (خلّ النديم) ومصطفى جمال الدين قليلا وغيرهم. نيتنا الصافية تقع في التذكير ببداهتين، الأولى: إن تاريخ العراق القديم والحديث تميّز بالتعايش والتسامح، بما في ذلك بشأن المشروبات الروحية التي كانت تُصْنع وتُشرب في أماكن، هي اليوم قرب أو في قلب بعض مدننا التي نعتز بها أيّما اعتزاز. هذه المدن لم تكن على الدوام كما نعرفها اللحظة، فقد كانت آرامية مسيحية يوماً، وظلت بعض الفضاءات القريبة منها، وقتاً طويلاً حتى بعد انتشار ديننا الإسلاميّ الحنيف، مرتعاً ترفيهيا معروفا للجميع. على مسافة ٧٠ كم من كربلاء هناك كنيسة القصَير (أو الأقيصر تصغير لكلمة القصر) التي تضم كتابات آرامية تعود إلى القرن الخامس الميلاديّ، أي قبل ظهور الإسلام. أما في النجف فتوجد آثار ثلاث وثلاثين كنيسة ودير، وبعضها شهير عبر المصادر التاريخية، آخرها الدير الذي أعلنت دائرة آثار النجف عام ٢٠٠٩ عن اكتشافه في مطارها الدوليّ، والعثور فيه على صلبان وقطعة من الحجر منقوش عليها اسم صاحب الدير: عبد المسيح.

كان الكثير من شعراء العصر العباسيّ يحتسون المشروبات الروحية في بعض هذه الأماكن، ويكفي العودة إلى "أغاني" الأصفهانيٍ أو كتب القاضي التنوخي الراسخ في تشيّعه، للتأكد من شيوع ذلك عمليا. اشتهر سكان النجف وكربلاء بكرمهم وأريحيتهم وتنوّع مشاربهم وتديُّنهم القائم على المحبة والاجتهاد والكلمة الحسنة، وليس على القمع، ولا الانقضاض على الخصم مهما كانت درجة ابتعاده عما يؤمنون به. وهي سمة تسمُ من جهة أخرى جميع سكان العراقِ حتى أعرابه وبدوه، بدرجات متفاوتةَ.

البداهة الثانية هي أن منعا من هذا القبيل يتنافى بالمطلقً والدستورِ العراقيّ الذي لا توجد به فقرة بهذا الشأن، كأن الدستور اعتبره شأناً شخصيا، وعلاقة خاصة بين الإنسان وخالقه. هذا الإغلاق غير دستوريّ، وعلى السيدين الفاضلين نوري المالكي وفاروق الأعرجيّ أخذ الدستور بالحسبان عند الإقدام على خطوة كالتي اتخذوها في الأيام الماضية. لندعْ ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

موسيقى السبت

مـــون والـســيـمـفـونـيـة

ثائر صالح

ولد المؤلف النمساوي جورج ماتياس مون في ١٧١٧، وتوفي في ١٧٥٠. اسمه مان في الأصل، لكنه غيره إلى مون ليميز نفسه عن أخيه الصغير، المؤلف الموسيقي يوهان كريستوف مان (وتوفي سنة ١٧٨٢). وصلتنا أعماله القليلة بنسخة تعود إلى ثمانينيات القرن الثامن عشر.

ويعتبر مون إضافة المؤلفين النمساويين جورج كريستوف فاغنزايل ويوزف شتارتسر وليوبولد موتسارت (وهو أبو فولفغانغ اماديوس) هم من أرسى دعائم السيمفونية الكلاسيكية قبل هايدن وموتسارت. فالتجديد الأساسي الذي أدخله مون كان استعماله موضوعاً ثانياً في السيمفونية. وكان أول من قام بإضافة حركة المنويت كحركة ثالثة، ليصبح عدد الحركات اربعة، وذلك في سيمفونية ألفها سنة ١٧٤٠، وكانت لا تزال بثلاث حركات آنئذ. وقد طور هايدن شكل السيمفونية لاحقاً عبر استعماله شكل السوناتا في الحركة الأولى (وشكل السوناتا يتألف من ثلاثة أجزاء هي العرض، التفاعل ثم الختام). ورغم وفاة مون بمرض السل مبكراً في ١٧٥٠، عندما كان اسلوب الباروك في الموسيقى لا يزال هو السائد، كانت موسيقاه بمثابة البذور التي نمت نبتتها لتزهر منها المدرسة الكلاسيكية بعد سنوات قليلة. ومن يستمع لسيمفونياته سيتعرف فيها على هذه البذور الكلاسيكية، وستذكره على الفور بأعمال هايدن وموتسارت.

أسلوبه متميز، وموسيقاه ساحرة تجذب الانتباه على الفور. للأسف لم يصلنا سوى القليل من أعماله، من بينها ٢١ سيمفونية وعدد من الكونشرتات ، مثل كونشرتو التشيلو الرائعة في صول الصغير.

متابعة

نادي السرد في اتحاد الأدباء يحتفي بعلي لفتة سعيد

بغداد /المدى

احتفى نادي السرد في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، بالقاص والروائي علي لفتة سعيد، للحديث عن تجربته الإبداعية، التي حاول أن تكون أكثر جدلا ونقاشا ومشاكسة بهدف خلق جو من الحركة على ظهيرة الاتحاد، وليبين ما كان للاتحاد في الأزمان السابقة والحالية، وهو يقول انه رغم انتمائه للاتحاد منذ عام ١٩٩٠، إلا أن هذه هي الأمسية الأولى له لأنه لم يكن يلهث وراء الاحتفاءات، ولم يطرق بابا ولم يكن معنيا بما يدور لأنه كان يحتضن خجله تارة، واحتجاجاته على الواقع تارة أخرى.

في بداية الظهيرة أشاد مقدمها الروائي حميد الربيعي، بمنجز علي لفتة سعيد، حيث قرأ السيرة الذاتية له، مشيرا إلى منجزه منذ إصداراته الأولى في مجموعته القصصية "امرأة من النساء" التي صدرت عام ١٩٨٨، عن دار الشؤون الثقافية، تلتها مجموعة (اليوبيل الذهبي) بعام، ثم بعد عشر سنوات صدرت مجموعته الثالثة (بيت اللعنة) التي حصلت على جائزة الإبداع، ثم تلتها ثلاث روايات هي (وشم ناصع البياض) و(اليوم الأخير لكتابة الفردوس) و(مواسم الاسطرلاب) ليتبعها في عام ٢٠١٠، بمجموعة قصصية جديدة حملت عنوان (مداعبة الخيال) ليختتم إصداراته بنص مسرحي من فصل واحد حمل عنوان (المئذنة)...الربيعي قال: إن هناك قطيعة بين الأدباء وهي عدم معرفة الآخرين بمنجز بعضهم وهذه ربما تتحملها الظروف أو يتحملها الإعلام او يتحملها الأديب نفسه. وأشار الى أن تجربة علي لفتة سعيد غنية بالنتائج حيث وصل نتاجه إلى ثمانية كتب، تعني أن له مران على الإبداع.

ثم قرأ سعيد شهادة عن تجربته عنونها (لحظات البدء.. الطريق إلى الكتابة.. السباق نحو الخجل)، قال فيها: كان الطفل الذي نبتت في رأسه الخيالات والحكايات، وكانت أولى محطات العمر هي ذهابه إلى مكتبة سوق الشيوخ وهو بعمر ١٢ عاما يبحث عن كتاب لا يعرفه إلا أنه يقلد الآخرين.. ويضيف كانت سوق الشيوخ مجتمعا للشعر فان لم تنتبذ مكانا للشعر الشعبي و"الأبوذية" فإن الشعر العربي هو الواحة التي تراها تتنقل حتى بين كؤوس مُريدي نادي المعلمين. واسترسل سعيد في سرد جزء من حياته قائلا: إن "هذا الشاب اليتيم الذي لم ير وجه أمه، أخذته الحرب وهو الخجول الذي لم يعقد الصداقات مع النسوة ولم يمهله الزمن أن يتحرك بحرية، فما كانت الشهادة الإعدادية حتى ساقته مقاولات السياسة إلى البارود وحقول البحث عن روح باقية، الحرب التي دخلها بلا شارب وخرج منها بجسد نحيل وأربعة أطفال علمته أن يزيد من خجله ولم تعلمه كيف يصنع شهرة لنفسه بعد أن أخذ اسمه ينتشر، منذ مطلع الثمانينيات، حيث نشر أولى قصصه في ملحق جريدة الثورة.. وتابع: إن الرجل الذي عبر عامه الأول من عمره بعد الخمسين، ما زال يقفز على بقعته التي صنعها بنفسه ولم يعرف الطريق إلى النقاد إلا من كان قريبا منه، ولم يزل قريبا منه الرجل الذي أصبح جدا يحتفل بثامن كتبه وبأول أمسية له في اتحاد الأدباء.

وقرأ الناقد جاسم عاصي ورقة نقدية بعنوان "السردية القصصية بين تاريخ الفرد وتاريخ الجماعة" التي تناولت تجربة سعيد في الكتابة الروائية والقصصية وكذلك في نص المسرحي وعد عصي سعيد من انه كان يعتمد على إحساسه، وكان يتعامل بانطباعية في تجاربه الأولى إلا انه في مجموعته القصصية الأخيرة (مداعبة الخيال) وقبلها في روايته موسم الاسطرلاب تجاوز الكتابة إلى المخيال، وتمكن من التخلص – بإبداع – من الرقيب من خلال الهروب بواسطة القناع. وأشار الى أن شخوص سعيد لم تأت من فراغ بل كانت تتعايش معه ويحولها من القاع إلى السطح، وهذه ميزة تحسب لسعيد لأنه تمكن من اسطرة شخوصه، فراح يشتغل على السوط الفقير الذي ينتمي إليه.. موضحا انه يمنح شخصياته قدرة ذاتية لكي تُعبر عن نفسها، كذلك يمنح لقدرته الذاتية كسارد يختزل محتوى حياة الشخصية ويبئرها نحو مرمى الدلالة.

شهدت الظهيرة العديد من المناقشات التي بدأها القاص احد الجنديل بقوله: إن الكتابة لدى سعيد رحلة إبداعية تبدأ من خطوتها الأولى الى خاتمتها.. فهو يمتلك استهلالا جميلا في متابعاته ويجعل الحدث ينمو في حاضنات لغة مملوءة بالعافية وبحرفية تصميم لحظة التنوير والتشويق التي هي واحدة من أساسيات الكتابة الإبداعية.. والسردية لديه مرسومة بإتقان.

وقال الشاعر ريسان الخزعلي في مداخلته: أنا فقط أشير إلى أن علي لفتة سعيد نشر قبل فترة قصيدة في "المدى" مهداة إلى علي احمد سعيد وهو ادونيس، وهو مقارنة ذكية منه بين التركيبة الثلاثية للاسمين وهي: علي احمد سعيد وعلي لفتة سعيد.. وتساءل:هل تعرفون لماذا؟ وأجاب وهذا من وجهة نظري الشخصية، أراد أن يقول الآتي: إذا كان علي احمد سعيد قد تقنع بأدونيس، فأنا علي لفتة سعيد متقنع بعلي لفتة سعيد فقط.

في حين اعتبر القاص عبد الأمير المجر، سعيد بانه فلاح في حقل السردية العراقية.. وأضاف في تسعينيات القرن الماضي كنا نلتقي كثيرا في بغداد وكان علي يحفر ويكتب وينتج وهو مخلص لنتاجه بعيدا عن حقل الأدعياء وهو لا يتكلم كثيرا عن نفسه، خاصة وأنه انقطع عن بغداد بعد الاحتلال.